

التراث الحضاري الإسلامي

في اللغة الأردنية

١٥٧

الدكتور سيد رضوان علي الندوي

ندوة المصنفين :

ومن المؤسسات العلمية التي اهتمت بالبحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية "ندوة المصنفين" بدلهي ، وقد أنشأها خريجو دار العلوم ديوبند من كبار العلماء في سنة ١٩٢٩م على غرار "دار المصنفين" ، ومن مؤسسيها مفتي عتيق الرحمن عثمانى ، وحفظ الرحمن سيورهاروي ، وسعيد أحمد أكبرآبادي . وكان يلتحق بها الباحثون كما كان في دار المصنفين . لهم مكاتب عمل . ومكتبة قيمة .

وقد أخرج هؤلاء وغيرهم مؤلفات علمية إسلامية بالأردنية ، ومن أشهرها القصص القرآنية للشيخ حفظ الرحمن سيورهاروي في أربعة مجلدات ، وكتب أخرى له عن نظام الاقتصاد في الإسلام ، وعن النظام السياسي فيه وغير ذلك ، ومن مؤلفات سعيد أحمد أكبرآبادي الذي كان أستاذاً للدراسات الإسلامية في جامعة عليكره وغيرها من المؤسسات التعليمية الكبرى ، كتاب: "الموالي في الإسلام" و "حقيقة الرق في الإسلام" وغيره من الكتب في عدد من الموضوعات الثقافية الإسلامية . ومن منشوراتها ترجمان السنة في أربعة أجزاء ، وتاريخ الأمة في ٨ أجزاء . ومن أهم ما صدر عن ندوة المصنفين كتاب : "لغات القرآن" في ستة أجزاء للشيخ عبد الرشيد النعماني وهو معجم لألفاظ القرآن الكريم ومعانيها باللغة الأردنية ، ونشرت هذه الندوة أكثر من مائة كتاب علمي في العلوم الإسلامية المختلفة والتي تعتبر كمراجع للباحثين ، وهي لا تزال تؤدي دورها في النهج فسي حدود إمكانياتها ، و تصدر عنها مجلة علمية شهرية باسم :

"برهان"، وهي مثل: "معارف" في المستوى العلمي.

إدارة الثقافة الإسلامية - لاهور:

وعلى نمط المؤسستين العلميتين الأنفتي الذكر أنشئ في باكستان في أواخر الخمسينات من هذا القرن الميلادي مجلس للبحث العلمي والتأليف والنشر باسم: إدارة ثقافة إسلامية في مدينة لاهور، وهي مؤسسة شبه رسمية وكان رئيسها الأول المرحوم خليفة عبد الحكيم الباحث المؤلف المشهور في باكستان، ومن العاملين فيها كان الشيخ محمد حنيف الندوي، والشيخ جعفر شاه الندوي، ورئيس أحمد جعفري ومحمد إسحاق بهتي وغيرهم، وقد ألف هؤلاء عشرات الكتب في مختلف الموضوعات التاريخية والفقهية وقضايا العصر وأنظمة الإسلام، وقد صدر عنها أكثر من مائة كتاب ومن أشهرها سلسلة كتاب أب كوثر، ورود كوثر، وموج كوثر في ثلاثة أجزاء وهو لمؤلفه محمد إكرام، مدير هذه الإدارة، وهو كتاب في التاريخ الثقافي الإسلامي في شبه القارة الهندية عبر العصور حتى العصر الحديث، على نمط سلسلة فجر الإسلام وضحي الإسلام للمرحوم أحمد أمين، وقد طبع أكثر من عشر طبعات، وأصدرت هذه الإدارة مجلة علمية شهرية باسم: "ثقافت" تهتم بقضايا العصر ومشاكلها، وتقديم حلولها في ضوء الإسلام، وهي لا تزال تصدر، ولكن باسم جديد أي "المعارف" (بالألف واللام للتعريف، خلافاً لمعارف الهندية).

وفي باكستان مؤسسات علمية عديدة أخرى تعنى بالبحث والتأليف والنشر في مجالات مختلفة للعلوم الإسلامية، ولكنها ليست في المستوى الذي ذكرناه، ولكن لا بد من ذكر شخصية علمية كان في ذاته مؤسسة علمية كبرى، وهو المرحوم الأستاذ السيد أبو الأعلى المودودي.

السيد أبو الأعلى المودودي:

السيد أبو الأعلى المودودي [م 1979م] من العبقرات الفذة في العالم الإسلامي في هذا القرن، وهو أيضاً من أشهر الباكستانيين في العالم العربي

لبحوثه الإسلامية ومؤلفاته العديدة المترجمة إلى العربية .

وكان من بيت علم وتصوف ، وبدأ حياته كصحافي ومؤلف في التاريخ الإسلامي في دلهي ، ثم في مدينة حيدرآباد (الدكن) الهند ، ونبغ مبكراً ، وقد أصدر كتاباً كبيراً عن الجهاد في الإسلام وعمره إحدى وعشرين سنة ، ثم بدأ بإصدار مجلة إسلامية باسم : "ترجمان القرآن" من حيدرآباد الدكن في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي ، وبيحوثه المبتكرة وعرض الإسلام في ثوب فكري جديد لفت أنظار العلماء ، وشباب الجامعات العصرية إليه ، والتف حوله المهتمون بالدعوة الإسلامية ، وأنشأ جماعة للدعوة الإسلامية ، باسم : "جماعت إسلامي" ، والتي لا تزال قائمة في باكستان والهند ، وفي باكستان لها شأن سياسي كبير ، ولكن لا يهمنها نشاطات الأستاذ المودودي السياسية والدعوية ، وإنما نريد أن نشير إلى أعماله العلمية .

وقد نشر للأستاذ أبي الأعلى المودودي نحو خمسين كتاباً في مختلف المواضيع الإسلامية وقضايا العصر القومية والسياسية والاقتصادية ، وكان بحق المفكر الإسلامي النابغة في هذا العصر ، يعالج المشاكل المعاصرة ويقدم لها حلولاً إسلامية ، كما يعرض الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية وأحكامها للجيل المعاصر في لغة عصرية جديدة وأسلوب جديد ، وقد تأثر بعمق تفكيره الإسلامي ومنهج عرضه المفكر الإسلامي الشاعر محمد إقبال ، فدعاه في سنة ١٩٣٨م إلى أن يتخذ إقليم البنجاب في شمال الهند مركزاً لدعوته الإسلامية ، فانتقل إلى بلدة صغيرة فيها ، وبعد تقسيم البلاد إلى الهند وباكستان ، انتقل إلى مدينة لاهور واتخذها مركزاً له وجماعته .

وعلى الرغم من نشاطه المستمر في ميدان الدعوة الإسلامية ، وجهود المتواصلة لإقناع الحكومات الإسلامية في باكستان لاتخاذ الكتاب والسنة أساساً للدستور الإسلامي ، والعمل المستمر في هذا المجال مع العلماء الآخرين ، وتنظيم أعمال الجماعة الإسلامية سياسياً واجتماعياً ، على الرغم من ذلك كله ظل ينتج مؤلفات جديدة ، والتي أصبحت من أهم التراث

الإسلامي في الأردنية ، وأثرت تأثيراً بالغاً في عقول وقلوب عامة المثقفين ، وخاصة طلبة الجامعات ، والمثقفين بالثقافة العصرية الغربية من الأطباء والمهندسين والمحامين وأساتذة الجامعات .

وحظيت مؤلفاته بالتأثير والقبول في الأوساط المحلية وخارج البلاد لاطلاع صاحبها العميق والواسع على العلوم الإسلامية العربية الأصيلة من تفسير وحديث وفقه وكلام من جهة وعلى الثقافة الغربية وفلسفاتها وعلومها من جهة أخرى ، وتمتاز كتاباته بالنقد العقلي للحضارة الغربية وعلمانيتها ، وعدم جدواها في إسعاد البشرية .

ومن أهم كتبه التي طبعت مراراً وتكراراً " تفهيمات " وتنقيحات ، وسود (أي الربا) و يرده (أي الحجاب الإسلامي) ، والنظم الاقتصادي في الإسلام والنظم السياسي في الإسلام ، والخلافة والملكية ، ورسائل ومسائل (أجوبة للاستفتاءات الدينية والعلمية) وغيرها ، وقد ترجم الكثير منها إلى العربية ، وطبع عدة مرات ، وخاصة كتب : (الربا ، والحجاب ، والخلافة والملكية) .

ولكن أهم أثر علمي له على الإطلاق ، وأكثره انتشاراً ، تفسيره للقرآن الكريم باسم : " تفهيم القرآن الكريم " في ستة مجلدات ، مع ترجمة معانيه ترجمة حرة ، وقد استغرق هذا العمل ثلاثين سنة ، من سنة ١٩٤٢ - ١٩٧٢م ، وكان ينشره تباعاً كل شهر في مجلته ترجمان القرآن ، وقد أكمل القسم الأكبر منه في السجن مرتين عندما سجنته الحكومة لنشاطه ضد القاديانية وضد الحكومة في قضية المطالبة بالدستور الإسلامي للبلاد ، ويمتاز تفسيره - وهو في نحو أربعة آلاف صفحة - بفهارس الموضوعات التفصيلية في كل جزء ، والتحقيقات العظيمة الفريدة في الموضوعات التاريخية والأماكن المذكورة في القرآن الكريم ، فقد زار المناطق المذكورة فيه في شمال جزيرة العرب وفلسطين وسيناء ومصر ، وقدم الخرائط والصور للآثار الموجودة للشعوب المذكورة في القرآن ، وكذلك أبحاثه وتحقيقاته في المسائل الفقهية والاجتماعية ،

وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية .

محمد إقبال وأثره في الفكر الإسلامي :

من أشهر الشخصيات الباكستانية في داخل البلاد وخارجها الشاعر والمفكر الإسلامي المعروف الدكتور محمد إقبال [١٨٧٧-١٩٣٨م] ، وقد كتب عنه عدد من الكتاب العرب أمثال المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ الدكتور نجيب الكيلاني وسماحة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي وغيرهم ، كما ترجم بعض دواوينه الشعرية ، ومنظوماته وقصائده الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشاعر المصري صاوي شعلان شعراً ، ولكن أروع ترجمة لقصائده وأحسن عرض لفكره وفلسفته ما كتبه العلامة الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الندوي في كتابه : "روائع إقبال" نثراً .

لقد درس إقبال في جامعة بنجاب ، وجامعة كيمبردج بإنجلترا ، وجامعة لندن ، وأخذ الدكتوراة من جامعة ميونيخ كما أخذ شهادة المحاماة العالية (Bar at Law) من لندن وغاص في أعماق الفلسفة الغربية ، وكان قد درس الفارسية والعربية قبل أن يأخذ شهادة الماجستير ، وكان شاعراً مطبوعاً ، ولكنه استخدم شعره لبحث آرائه الفلسفية الفكرية الإسلامية ، ولعرض حقائق الإسلام ، وقد اخترع لأفكاره لغة وتعابير شعرية خاصة . خلافاً للشعراء التقليديين ، ذات تأثير غريب في أعماق القلوب ، ولم يخدم شاعر الإسلام بشعره كما خدمه محمد إقبال ، وكان أهم خدمة أسداها للمسلمين في شبه القارة الهندية هي أنه أوجد في نفوسهم وخاصة الشباب المثقف الذي كان ينحرف مع تيار الغرب ، أوجد شعور الاعتزاز بالإسلام . والثقة بالنفس والتراث الإسلامي ، والقيم الفكرية والخلقية ، وبعبارة أخرى جذبهم إلى الإسلام من الإلحاد والعلمانية التي كان التعليم الغربي الإنجليزي ينشرها فيهم .

وكثير من دواوينه الشعرية بالفارسية ولكن الكثير أيضاً في الأردية ، وكاد يهجر الأردية ويعبر عما يجول بخاطره في الشعر الفارسي فحسب

لطواعية اللغة الفارسية عن التعبير بالمعاني المجردة الفكرية ، ولكنه بنصيحة بعض رفاقه المخلصين ظل يقرض الشعر في الأردية أيضاً ، ومن دواوينه الشعرية بالأردية "بال جبريل" (جناح جبرئيل) و "ضرب كليم" و "بانك درا" (صدى جرس القافلة) - بالإضافة إلى قصائد أخرى في بعض دواوينه الفارسية ، مثل مجلس شوري لإبليس في ديوانه الفارسي "أرمعان جحاز" ، ومن أشهر قصائده المثيرة للفكر والعاطفة ، والمؤثرة في النفس "مسجد قرطبة" و "ذوق وشوق" ، نظمهما على التوالي خلال زيارته لقرطبة وفلسطين في عام ١٩٣٦م ، ومنها أيضاً قصيدة "طلوع إسلام" و "ساقى نامه" ، أما أشهر قصائده الطويلة وأكثرها انتشاراً لدى الخاصة والعامة فهي "شكوى وجواب شكوى" ، قدم فيها شكوى المسلمين إلى الله سبحانه وتعالى عما هم فيه من التخلف والذل والاحتقار ، وهجران الله لهم رغم خدمتهم لدينه .

ثم الرد الإلهي بلسان الشاعر عليهم ، وما اقترفوه من الآثام ، وأحدثوه من البدع ، وما وقعوا فيه من الخرافات والخزعبلات والإشراك بالله ، ونكرانهم لرحمة الله تعالى ، واستظهر هذه القصيدة الكبار والصغار من المسلمين ، واستشهدوا بأبياتها في خطبهم ومواعظهم لسنين طويلة في حياة المؤلف وبعد مماته .

ومن الجدير بالذكر أن من دواوينه التسعة ، ثلاثة فقط بالأردية ، وأولها "بانك درا" ، وفيه الكثير من شعره الغزلي في شبابه ، ولا شك أن شعره أهم تراث فكري إسلامي باللغة الأردية ، وله أيضاً كتاب بالإنجليزية ، ترجم إلى العربية باسم : "تجديد الفكر الديني في الإسلام" وهي محاضرات ألقاها بدعوة من مسلمي مدراس بالهند ، ولكن أفكاره عن التوحيد ، والنبوة ، والقرآن ونقله للحضارة الغربية ، وعرضه لرسالة الإسلام ومحاسنه ، لا يوجد كل ذلك بصورة قوية ومؤثرة إلا في شعره .

الشيخ أشرف علي التهانوي وأثره في التربية الدينية الروحية :

ومن دار العلوم أو جامعة ديوبند (في الهند) تخرجت شخصية عظيمة فذة جمعت بين كثرة التأليف ، و تربية النفوس تربية روحية ، وإصلاح المجتمع ، وهي شخصية الشيخ أشرف علي التهانوي [١٨٦٣-١٩٤٣م] ، ولقد خلف هذا الشيخ العالم النابغة التقي الصالح من أولياء الله مكتبة كاملة عن الإسلام من تأليفه ، إذ كان من المكثرين في التأليف ، وقد قيل : إنه ترك من الكتب والرسائل بالأردية نحو ثمانمائة في مختلف الموضوعات الإسلامية من العقائد والعبادات والمعاملات والتصوف والأخلاق وغير ذلك .

وكان أثر مؤلفاته عظيماً بين عامة المسلمين بصفة خاصة في إصلاح عقائدهم وتخليصهم من البدع والخرافات ، لأنها كتبت بلغة سهلة مبسطة . وقد كتب أيضاً للخاصة ، ولا يوجد في المكتبة الأردنية كتاب واحد عن الإسلام يجمع بين عقائده وعباداته ومعاملاته وكل ما يحتاج إليه المرء في شئون حياته من الأوامر والنواهي والمندوبات بأسلوب مبسط غير كتابه الموسوم بـ " بهشتي زيور " (أي حلية الجنة) في أحد عشر جزءاً ، وقد طبع عشرات المرات ، ومئات الألوف من النسخ ، ولا يزال يطبع ، ويستفيد منه الرجال والنساء على السواء ، ولعله الكتاب الوحيد يُعطى مع القرآن الكريم في جهاز العروس في شبه القارة الهندية كلها .

أما مكانته الروحية فيكفي لتقديرها أن بعض كبار علمه عصره مثل السيد سليمان الندوي والأستاذ عبد الباري الندوي وغيرهما قد اتخذوه مرشداً روحياً لهم ، ودخلوا في حلقة مريديه الذين يبلغون عدة آلاف ، ومنهم كثير ممن تثقفوا بثقافة غربية عالية ، وشغلوا وظائف حكومية كبرى .
[للحديث صلة]

☆☆☆